البَابُ الثالث

١ – قوم عاد وثمود وأصحاب الفيل
هل كانوا حقيقة أم من قبيل الأساطير .

٢ – طابا بأرض سيناء هل هى أرض مدين .

٣ – المسلمون مازالت أمتهم تثير الفزع فى بلاد الغرب .

٤ – نابليون هل تحول حقيقة إلى الإسلام . قبل وفاته .

٥ – الشعب المصرى عراقة أصله العربى .

قوم عاد وثمود وأصحاب الفيل
هل كانوا حقيقة أم من قبيل الأساطير[1]

من سفاهة المستشرقين أنهم يتحذلقون على العلم ويتشككون فى التاريخ العربى أو الإسلامى من أقدم عهوده ، ثم يأتى العلم فيثبت بالكشوف المحسوسة صدق الخرافة المزعومة ، وكذب العلماء الزاعمين ، حتى لقد أصبح التخريف حقًا لهؤلاء المستشرقين الذين لا يعرفون من التحقيق إلا اتهام كل رواية عربية أو إسلامية بالتخريف .

فمن أقطاب هؤلاء المخرفين من أنكر عادًا وثمودًا، وأنكر الكوارث التى أصابتهم بغير حجة إلا حجة قوله المرسل على عواهنه دون دليل أوبرهان .

١ - فما لبثوا طويلاً حتى تبين لهم أن عادًا (Oadita) وثمود (Thamudida) مذكورتين فى تاريخ بطليموس – وأن اسم عاد مقرون باسم إرم فى كتب اليونان – فهم يكتبونها (أدراميت) (Adramit) وهذا مما يؤيد تسمية القرآن الكريم لها بعاد إرم ذات العماد .

٢ - ولقد عثر المنقب موزيل التشكى (Musil) صاحب كتاب الحجاز الشمالى على آثار هيكل عند (مدين) منقوش عليه كلام بالنبطية واليونانية وفيه إشارة إلى قبائل ثمود .

أما إنكارهم لجيش أبرهة ونكبته فى مكة عندما أراد هدم الكعبة وتحويل العرب إلى الكنيسة التى بناها فى مدينة صنعاء وسماها كنيسة القليس فقد

---

(١) نشر بمجلة رسالة الأزهر العدد التاسع ٢٧ من شوال سنة ١٤٠١ هـ ٢٧ أغسطس سنة ١٩٨١ .

انضم إلى هؤلاء المستشرقين فى هذا الإنكار لفيف من المبشرين وأعداء الإسلام .

وأخيرا تتكشف النقوش عن اسم أبرهة على خرائب سد مأرب ملقبًا بالأمير الحبشى من قبل (ملك الحبشة وسبأ وريدان وحضرموت واليمامة وعرب الوعر والسهل) .

ويتواتر الخبر عن الجدرى الذى تفشى فى منتصف القرن السادس للميلاد فيذكره بروكوب (Procobe) أحد الوزراء فى حكومة مدينة القسطنطينية[1] .

كما يروى الرحالة بروس (Bruce) الذى زار بلاد الحبشة فى القرن الثامن عشر أن الأحباش يذكرون فى تواريخهم أن أبرهة قصد إلى مكة ثم أرتد عنها لما أصاب جيشه من المرض الذى يصفونه بصفة الجدرى[2] .

وصدق الله العظيم فى كتابه الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إذ يقول : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[3] وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[4] .

---

(١) كتاب مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية تأليف المرحوم عباس محمود العقاد .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة الفجر : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ .

(٤) سورة الفيل .

طابا بأرض سيناء[1]
هل هى أرض مدين
التى توجه إليها موسى عليه السلام

فى خلال عام ١٨٩٠ ميلادية حضر إلى مصر رجل إسرائيلى ينتمى إلى الدولة الألمانية يدعى (بول فريدمان) واتصل بسلطات الاحتلال البريطانى فى القاهرة ، وأبلغها بنيته فى الهجرة إلى سواحل خليج العقبة ، ولم يمانعه الإنجليز فى تحقيق تلك الرغبة .

لذلك عاد فى أواخر العام التالى سنة ١٨٩١ مع عشرين من اليهود الألمان والروس ونزلوا جميعا على ساحل الخليج المذكور ، واشتروا أرضًا فى ناحية (المويلح) مع أن قوانين الدولة العثمانية كانت لا تبيح بيع الأراضى للأجانب في شبه جزيرة العرب .

ولقد انبرت الصحف المصرية فى ذلك الوقت إلى التنبيه للخطر الإسرائيلى أو اليهودى (كما غلب على تسميتهم) القادم من أوروبا مما أثار الحكومة العثمانية فاتخذت الإجراءات الآتية:

أولاً : طـرد الإسرائيلى فريدمان وجماعته من منطقة خليج العقبة كلها .

---

(١) نشر بمجلة الأزهر .

ثانيا : سلخ الأراضي التى كانت تديرها مصر شرق خليج العقبة وهى ضبا والمويلح والعقبة طبقًا للفرمان الصادر فى يونية سنة ١٨٤١ إلى محمد على والى مصر وقتئذ .

ثالثًا :انتزاع شبه جزيرة سيناء كلها من السيادة المصرية .

فزع الحكومة البريطانية من اقتراب الدولة العثمانية من قناة السويس :

ولقد فزعت الحكومة البريطانية من الاقتراب العثمانى من قناة السويس مما يهدد وقتئذ شريان الإمبراطورية البريطانية الحيوى ، فقامت تلك الحكومة بإجراء ضغط دبلوماسى بريطانى عنيف على الحكومة العثمانية ، مما جعل السلطان العثمانى يترك سيناء لمصر بعد أن كانت نيته تتجه لضمها إلى ولاية الحجاز ، وكان ذلك بموجب برقية أرسلها جواد باشا الصدر الأعظم فى تركيا بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ إلى خديوى مصر عباس حلمى الثانى ، إثر توليه حكم البلاد بعد وفاة والده الخديوى محمد توفيق – وقد وضحتها مذكرة المعتمد البريطانى فى القاهرة بتاريخ ١٣ أبريل من نفس ذلك العام ، والمرسلة إلى تيجران باشا وزير الخارجية المصرى وقتئذ ، والتى أبلغه فيها أن حدود شبه جزيرة سيناء ، يحدها من الشرق خط يسير فى اتجاه جنوبى شرقى من نقطة قريبة من شرق العريش إلى رأس خليج العقبة ، وأن قلعة العقبة الواقعة شرق هذا الخط هى فقط التى سوف تبقى قسمًا من ولاية الحجاز ، وقد أبلغت مختلف الدول بمضمون تلك البرقية خصوصًا ممثل فرنسا والروسيا فى القاهرة .[1] .

(١) كتاب الأصول التاريخية لمسألة طابا دراسة وثائقية تأليف دكتور/ يونان لبيب .

إثارة الأزمة من جديد سنة ١٩٠٦ :

لما ازدادت عملية مد الخطوط الحديدية داخل الدولة العثمانية ، وبالذات سكك حديد الحجاز ، وكان فى النية مد أحد فروعها من معان إلى العقبة ، رأت الحكومة العثمانية أن الوجود البريطانى فى مصر خطر على هذا الفرع خصوصًا وأن جريدة اللواء المصرية التى كان يصدرها المرحوم مصطفى باشا كامل ذكرت فى مقال لها بتاريخ ٩ ديسمبر سنة ١٩٠٥ أن سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر تعد سيناء لأعمال حربية مهمة ووضعت تصميمات هذه الأعمال وعينت الكولونيل براملى قومندانا لطور سيناء .

وأرسل والى سوريا إلى الحكومة العثمانية بأن قوات الاحتلال البريطانى ستشارك القوات المصرية فى بناء ثكنات عسكرية فى المنطقة بين العقبة والقسيمة .

ولما أرسلت الحكومة المصرية قوة يقودها الضابط سعد رفعت لاحتلال طابا النقطة الهامة التى تقع على الساحل الغربى من خليج العقبة على بعد خمسة أميال من قلعة العقبة بحرًا وثمانية أميال برًا فوجئت بوجود وحدات من الجيش العثمانى تأمرها بعدم النزول فى طابا ، ولو أدى الأمر إلى استعمال القوة بحجة أنها تدخل ضمن الأراضى التى تتبع مدينة العقبة وليست ضمن الأراضى الممنوحة لمصر ، ولذلك فقد قامت القوات العثمانية بالنزول فى طابا واحتلالها ، وطلبت من القوات المصرية التى تمركزت فى جزيرة فرعون الانسحاب منها[1] .

(١) المرجع السابق .

موقف الحكومة البريطانية :

لم تقف الحكومة البريطانية إزاء الأزمة موقف الصامت بل اتخذت الإجراءات الآتية :

١ - إجراء ضغط دبلوماسى بريطانى على الحكومة العثمانية بتقديم احتجاج شديد اللهجة على احتلال القوات التركية لطابا ، وعدم السماح للقوات المصرية بالنزول – فيها .

٢ - التصاعد بالتهديد السياسى إلى حد إرسال السفن الحربية البريطانية إلى مكان الأزمة فأرسلت البارجة (ديانا) لتبقى فى مدينة السويس واحتمال تقدمها إلىٰ مياه خليج العقبة ، وإرسال البارجة (منيرفا) لتبقى فى مدينة بورسعيد تحت طلب السلطات البريطانية فى القاهرة .

٣ - ثم التقدم بإنذار إلى الحكومة العثمانية وكان ذلك بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩٠٦ لتعيين خط الحدود بين رفح إلى رأس خليج العقبة على أساس برقية الصدر الأعظم فى تركيا والمرسلة إلى خديوى مصر بتاريخ ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ ، وتكليف العثمانيين بإجلاء قواتهم عن طابا وحدد لهذا الإنذار مدة عشرة أيام فقط وإلا ستكون النتائج وخيمة للغاية .

استجابة الحكومة العثمانية :

وفى ٥ مايو أرسلت الحكومة العثمانية مبعوثًا خاصًا إلى السفير البريطانى فى استنبول ، تجدد فيها تأكيداتها باحترام برقيتها السابقة والمؤرخة فى ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ وأنها لا تدعى أى شىء لها غرب خليج العقبة وهى بسبيل تكليف القوات العثمانية بالجلاء عن طابا .

ثم وصلت مذكرة الحكومة العثمانية بتاريخ ١٤ مايو سنة ١٩٠٦ ردًّا على الإنذار – البريطانى وفيها :

أولاً : توافق الحكومة العثمانية على كل ما جاء فى برقيتها المؤرخة فى ٨ أبريل سنة ١٨٩٢ إلى خديوى مصر .

ثانيا : وأنها قررت الجلاء عن طابا وصدرت الأوامر لتنفيذ هذا القرار .

ثالثًا : وأن خط الحدود يمتد من رفح إلى رأس خليج العقبة على بعد ثلاثة أميال غرب قلعة العقبة[1] .

وهكذا كانت أزمة طابا والتى امتدت من سنة ١٨٩١ حتى ١٩٠٦ تثور تارة وتخمد تارة أخرى حتى انتهت إلى تثبيت حقوق مصر وأنها أرض مصرية لا مجال للجدل فيها .

المطامع الصهيونية فى سيناء :

حاولت الصهيونية العالمية التمركز فى منطقة طابا فى شبه جزيرة سيناء كما قدمنا آنفا فى صدر هذا المقال ، ولما فشلت محاولاتها سنة ١٨٩١ على يد (بول فريدمان) الإسرائيلى الألمانى عاودت محاولتها مع السلطان العثمانى ثم مع السلطات البريطانية مستهدفة منطقة العريش هذه المرة . فلقد شددت الصهيونية من ضغطها عليها .

مما أدى إلى أن تعرض بريطانيا على هرتزل ممثل الصهيونية وقتئذ اقتراحًا بإيفاد بعثة فنية إلى مصر لدراسة المنطقة لمعرفة مدى صلاحيتها لإنشاء مستوطنات ووصلت – البعثة الفنية الصهيونية فعلاً إلى مصر فى أواخر يناير سنة ١٩٠٣ ، ومكثت شهرًا فى شبه جزيرة سيناء ووضعت تقريرها ،

(١) المرجع السابق .

وبناء عليه قام هرتزل بإعداد مشروع اتفاق لعرضه على الحكومة المصرية ولكن الحكومة المصرية رفضت قبول المشروع كلية من أساسه[1] .

الصراع العربى الإسرائيلى وشبه جزيرة سيناء :

لما أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ عبر الجيش المصرى شبه جزيرة سيناء ، ليشترك مع الجيوش العربية الأخرى فى تحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلى إلا أن نتيجة تلك الحرب كانت مخيبة لآمال العرب ، فلم يتم لهم النصر وأعلن عن قيام دولة إسرائيل ، والتى اعترفت بها أغلب الدولة الأوربية والأمريكية وإثر ظهور تلك الدولة العنصرية قامت بتشريد الكثير من الشعب الفلسطينى وطرده من وطنه .

ولما تكرر عدوان دولة إسرائيل على مصر سنة ١٩٥٦ ، سنة ١٩٦٧ حاولت ضم شبه جزيرة سيناء إليها بأكملها إلى أن قامت حرب العاشر من رمضان الموافق ٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٣ حيث عبرت القوات المصرية أكبر حاجز مائى وهو قناة السويس واقتحمت التحصينات الإسرائيلية ، والتى عرفت باسم خط بارليف على الضفة الشرقية لقناة السويس وسحقت الجيش الإسرائيلى ، ولولا استغاثة رئيسة وزراء إسرائيل بالولايات المتحدة الأمريكية لنجدتها وسارعت تلك الأخيرة بمساعدتها بمالديها من مخزون السلاح الاستراتيجى فى ترساناتها الحربية لأمكن للجيش المصرى القضاء على تلك الدولة المصطنعة ولأراح العرب والعالم منها ومن شرورها[2] .

---

(١) كتاب سيناء بين الحرب والسلام إعداد سهير الكرداوى ورجاء الشريف .

(٢) كتاب حرب رمضان الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة أكتوبر سنة ١٩٧٣ إعداد لواء حسن البدرى واللواء المجدوب والعميد ضياء الدين زهدى .

معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ :

سارت مصر على طريق السلام بتوقيع تلك المعاهدة بوصفها خطوة على طريق السلام الشامل واسترداد الحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى ، وحق تقرير مصيره بما فى ذلك حقه فى إقامة دولته .

وكان من نتائج المعاهدة المشار إليها تحقيق جلاء الجيش الإسرائيلى عن سيناء من العريش إلى راس محمد طبقًا للمراحل الآتية :

المرحلة الأولى : تشمل الساحل الشمالى حتى مدينة العريش وسلمت لمصر فى ٢٥ مايو سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الثانية : تمتد من رأس سدر حتى أبو زنيمة على امتداد خليج السويس ، وسلمت فى ٢٥ مايو سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الثالثة : من أبو زنيمة حتى أبو صوير فى جنوب سيناء وسلمت فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الرابعة : تمتد من أبو صوير حتى رأس محمد فى جنوب سيناء سلمت فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٧٩ .

المرحلة الخامسة : (أ) تشمل منطقة سانت كاترين و المناطق السياحية حولها ووضعت تحت السيادة المصرية فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٧٩ قبل شهرين من التاريخ المتفق عليه فى المعاهدة .

المرحلة السادسة : (ب) تشمل وسط سيناء ومنطقة المضايق الاستراتيجية سلمت لمصر فى ٢٥ يناير سنة ١٩٨٠ .

المرحلة الأخيرة : وفيها تم الانسحاب النهائى لإسرائيل من جميع الأجزاء المتبقية من سيناء وهى المنطقة الممتدة من شرق خط العريش حتى رأس محمد .[1]

احتفاظ إسرائيل بمنطقة طابا المصرية :

إلا أنه مما يثير الدهشة حقًا أن إسرائيل وإن جلت فعلاً عن تلك المنطقة الأخيرة لكنها احتفظت بمنطقة طابا على خليج العقبة لتعيد إلى الأذهان أحلام الإسرائيلى الألمانى (بول فريدمان سنة ١٨٩١) ، وأطماع الصهيونية التى كان يمثلها (هرتزل وبعثته) فى شبه جزيرة سيناء أواخر يناير سنة ١٩٠٣ .

ما هو الهدف من احتفاظ دولة إسرائيل بطابا :

مما لاشك فيه أن هناك أطماعًا تحاول إسرائيل أن تخفيها وراء وثوبها إلى شبه جزيرة سيناء ، وحتى بعد جلائها عنها تحاول أن تجعل لها منطلقًا إلى تلك المنطقة ولو بنقطة ارتكاز صغيرة مثل طابا ، ولما كانت اليهودية والصهيونية منذ القرن الماضى على وفاق مع الصليبية ومؤسساتها التى تقوم على طبع ونشر الكتاب المقدس ، والذى يضم العهد القديم والمشتمل على اسفار اليهود ، والعهد الجديد والمشتمل على أسفار النصارى ، لذلك فقد نشرت تلك المؤسسات الصليبية فى صلب كتابها المقدس خريطة سيناء وفلسطين ، وجعلت بطريق التدليس بلاد مدين على ضفاف خليج العقبة بأرض سيناء ، بمعنى أنها فى أرض طابا وما جاورها من أراض على خليج العقبة على زعم أنها بلاد مدين التى عاش فيها موسى بن عمران بعضًا من

(١) كتاب سيناء بين الحرب والسلام إعداد سهير الكرداوى ورجاء الشريف .

عمره[1] وعندئذ يدعون لأنفسهم فى تلك المناطق ما يشاءون من الحقوق التاريخية .

قصة موسى ومدين كما وردت فى القرآن الكريم :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز حكاية عن موسى عليه السلام فى سورة القصص : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمدِينَةِ يسْعَى قَال يَامُوسى إِنَّ الْمَلأَ يأْتمرونَ بكَ لِيقْتلوكَ فَاخْرُج إِنِّى لَكَ مِن النَّاصِحِينَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يترقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَلَمَّا تَوَجَّه تِلْقَاءَ مدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَواءَ السَّبِيل ، ولَمَّا وَرد ماءَ مدْيَن وَجَد عَلَيهِ أُمَّة منَ النَّاسِ يسْقُونَ وَوجَد مِنْ دُونِهِمُ امْرأَتيْنِ تَذُودَانِ قالَ مَا خطبُكُما قَالتَا لاَنسْقِى حتَّى يُصْدِرَ الرِّعاء وأَبُونَا شيْخٌ كَبِيرٌ ، فسقَى لَهُمَا ثم تولَّى إِلى الظِّل فقَالَ ربِّ إِنى لِمَا أَنْزلْتَ إِلَىَّ مِنْ خيْرٍ فَقِيرٌ ، فَجاءته إِحْداهُما تَمْشِى علَى اسْتِحْيَاءٍ قَالتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ ماسَقَيْت لنَا فلمَّا جاءه وقَصَّ عليه الْقصَصَ قالَ لاَتَخفْ نَجَوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبتِ اسْتأْجِرهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتأْجَرْت الْقَوِىُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَاتَيْنِ علَى أَن تَأْجُرَنِى ثَمانى حِجَجٍ فَإِن أَتْمَمْتَ عشْرًا فمنْ عِنْدِكَ ومَا أُرِيدُ أَن أَشُقَّ عَلَيْك سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ، قَال ذَلِكَ بيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّما الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فلاَعُدْوانَ عَلَىَّ واللهُ علَى مَا نَقُول وَكِيلٌ ﴾[2] .

---

(١) انظر خريطة سيناء وفلسطين بالكتاب المقدس .

(٢) سورة القصص : ١٩ –٢٨ .

وقريب من ذلك ماورد بسفر الخروج عن موسى عليه السلام ، وذلك فى قوله (ثم خرج فى اليوم الثانى وإذا رجلان عبرانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك فقال من جعلك رئيسا وقاضيا علينا أمفتكر أنت بقتلى كما قتلت المصرى فخاف موسى ... فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن فى أرض مدين[1] .

إذًا أين تقع مدينة مدين حقيقة :

يقول الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير : إن أهل مدين كانوا قومًا عربًا يسكنون مدينتهم التى هى قريبة من أرض معـــان من أطراف الشـــام مما يلى ناحية الحجاز قريبًا من بحيرة قوم لوط ، وكانوا بعدهم بمدة قريبة ، وبناء على هذا الكلام فإنها تدخل حاليا فى نطاق وحدود وسيادة دولة الأردن[2] .

وخلاصة القول فإن مدينة طابا بعيدة عن أرض مدين :

لأنه بناء على ماذكره المؤرخ الإسلامى الكبير الإمام أبو الفداء إسماعيل ابن كثير رحمه الله فإن مدينة طابا وما جاورها من أراضٍ على خليج العقبة تعتبر بعيدة كل البعد عن أرض مدين أو بلاد مدين ، وهذا الخطأ الفادح بل الفاضح فى خرائط أهل الكتاب ، جاء نتيجة تواطؤ اليهودية والصهيونية مع الصليبية العالمية كما قدمنا على إقحام بلاد مدين فى شبه جزيرة سيناء ،

(١) سفر الخروج الإصحاح الثانى عدد ١٢ – ١٥ .

(٢) كتاب قصص الأنبياء للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير الجزء الأول تحقيق الدكتور/ مصطفى عبد الواحد .

على خلاف الحقيقة والواقع وهو نوع من الغش وتلبيس الحق بالباطل ، وليس هذا بجديد عليهم بل هو ديدنهم من قديم وصدق الله العظيم إذ يقول فى قرآنه العظيم بشأنهم آيات تتلى على مر الزمان ، وحتى تقوم الساعة تنعى عليهم هذا السلوك الشائن فيقول : ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] .

(١) سورة آل عمران ٧١ .

المسلمون
مازالت أمتهم تثير الفزع
فى بلاد الغرب

مما لا جدال فيه أن العالم الغربى مازال يكن بغضًا للإسلام وكراهيةً وحقدًا للمسلمين ، والقائمون على الدعاية الصهيونية يعلمون ذلك تمام العلم ويستغلونه أسوأ استغلال ضد العرب والمسلمين ، وما يقومون به عندما تحين لهم الفرصة ، لم يكن سوى تنشيط ما ترسب من عداوة لا زالت كامنة فى الخلفية الثقافية للمواطن الأوربى ، نتيجة لما غرسته الكنيسة فى أوربا قديمًا فى نفوس أبنائها من بغض وحقد وكراهية للإسلام والمسلمين وإحياء الصورة القديمة التى دفعت الصليبيين إلى شن حملاتهم على الشرق الإسلامى ألا وهى الخوف منه – ومن عناصر قوته المتكاملة التى إن استطاع المسلمون استغلالها على الوجه الأكمل لما كانت هناك قوة على وجه البسيطة تفوقها .

هذا الخوف والرعب من المسلمين ، وإن كان خوفًا غير محدود المعالم عند المواطن العادى إلا أن قادة الغرب والمثقفين فيهم يدركون ذلك تفصيلاً – وقد وضعت فى ذلك الدراسات وألفت الكتب حتى يخططوا لإضعاف عناصر القوة الإسلامية إن أرادوا – حماية لأنفسهم من الإسلام (هكذا يقولون) فهم يدركون أن المسلمين يملكون من مصادر القوة ما لا يملكه أتباع دين آخر على وجه الأرض .

بعض صور كراهية المواطن الغربى للإسلام تكشفها الاستفتاءات هناك :

أولاً : فى فرنسا

أظهر استفتاء للرأى العام الفرنسى أجرته صحيفة (الفيجارو) فى ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ أى بعد تسعة أيام من اندلاع معركة العاشر من رمضان التى وافقت السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بين مصر وسوريا وإسرائيل أن :

٤٥٪ مع إسرائيل . ١٦٪ مع العرب .

٨٪ مع الطرفين . ٣٠٪ لا رأى لهم .

ثانيا : فى إنجلترا :

أسفرت نتائج استفتاء للرأى أجراه المعهد الوطنى لاستفتاء الرأى العام عن تلك الحرب أن ٤٧,٥٪ من الإنجليز الذين شملهم الاستفتاء يؤيدون الاسرائيليين مقابل ٥٪ يؤيدون الدول العربية .

ثالثًا : فى الولايات المتحدة الأمريكية :

أجرى معهد جالوب الأمريكى استفتاء للرأى عن النزاع بين العرب وإسرائيل يوم ٦ أكتوبر المشار إليه ، وهو نفس اليوم الذى بدأ فيه القتال فظهر أن ٤٧٪ من الأمريكيين يؤيدون إسرائيل ، وأن ٦٪ فقط يؤيدون الدول العربية .

مظاهر القوة فى العالم الإسلامى التى تثير فزع الغرب :

يلخصها المستشرق باول شمتز فى كتابه (الإسلام قوة الغد العالمية) والذى نقله من الألمانية إلى العربية الدكتور/ محمد شامة الأستاذ بجامعة الأزهر .

أولاً : يقطن المسلمون منطقة جغرافية تتحكم فى العالم كله ، ففى الماضى قبل الإسلام كان حكام هذه المنطقة من خلال ذلك الموقع المسيطر على التجارة العالمية التحكم فى الأسعار عن طريق رفع رسوم المرور والجمارك – بل كان فى مقدورهم كما يقولون قطع الطريق كلية إذا بدا لهم أن ذلك فيه فائدة لهم – ومن هنا ظهرت الأطماع فى السيطرة على هذه المنطقة ولم يتغير شىء من هذا بعد ظهور الإسلام وسيطرته على تلك البقاع ، بل أصبح الأمر والنهى فى مجالات السياسة والتجارة فى يد دولة الإسلام التى مدت سلطانها على المنطقة جغرافيا وثقافيا ودينيًا .

وقد كشف الصليبيون فى حملاتهم على تلك المنطقة مدى الأهمية التى تكمن فى السيطرة على منطقة غرب آسيا – فهى نقطة اتصال بين الغرب والشرق الأقصى ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت محور الصراع بين مختلف السياسات يشهد بذلك الصراع القائم بين القوى العظمى المعاصرة للسيطرة على هذه المنطقة .

ثانيا : ما تملكه هذه المنطقة من الثروات والمواد الخام :

فبها ما تستطيع شعوبها بناء قوة صناعية تضارع أرقى الصناعات العالمية إن لم تفقها وسوف تزداد هذه الثروات فى وقت تقل فيه فى البلاد الأخرى مما يجعلهم يتحكمون فى توجيه الصناعة فى العالم ، وأكبر مثل على ذلك هو البترول الذى تدفق فى العالم الإسلامى مما يجعل له ثقلاً وتأثيرًا اقتصاديًا فى العالم الإسلامى على مسرح التبادل التجارى العالمى .

ثالثًا : الإسلام – ذلك الدين الذى له قوة سحرية على تجميع الأجناس البشرية المختلفة :

تحت راية واحدة – ففى بوتقة الإسلام يزول كل شعور بالتفرقة العنصرية بين نفوس أبنائه – وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به على الدفاع عن أرضه وثرواته بكل ما يملك مسترخصًا فى سبيل ذلك كل شىء حتى روحه يحرضه الإسلام على التضحية بها فداء لأوطان الإسلام – فقوة الوحدة الفكرية للإسلام ووجود الإحساس الحى للدين الإسلامى ، يجعله ينتصر فى كل مكان ينزل فيه الميدان مع الأيديولوجيات الأخرى (مثل الاشتراكية والوجودية وغيرها) ، بل إن اتجاه المسلمين نحو مكة وطن الإسلام ، عامل من أهم العوامل فى تقوية وحدة الاتجاه الداخلى بين المسلمين – وأسلوب يضفى على جميع نظم الحياة فى المجتمع الإسلامى طابع الوحدة وصفة التماسك – هذه الوحدة تعلو كل الخلافات المذهبية وتجمع كل الأوطان تحت لوائها – أسست بين المسلمين على قواعد راسخة من التاريخ والفلسفة وأشعار العرب والشعر الفارسى والمصرى والمغربى والأندلسى ، فضلاً عن تعاليم القرآن مما يربطهم بوحدة الفكر والشعور والانطباعات .

رابعًا : إن لدى المسلمين خصوبة بشرية تفوق نسبتها مالدى الشعوب الأوروبية ، وسوف تمكن الزيادة فى الإنتاج البشرى الشرق على نقل السلطة فى مدة لاتتجاوز بضعة عقود (أى عشرات قليلة من السنين) ، وسوف ينجح فى ذلك نجاحًا لا يرى من أبعاده اليوم إلا النذر اليسير ويقدم بذلك المستشرق مصر كمثال يعطى صورة لاتجاهات مؤشر الإحصاء السكانى ، ذلك لأن مصر لديها أعلى نسبة مواليد بين كل شعوب العالم الإسلامى ، ولأن الجهاز الإحصائى فيها يستعمل طريقة ترتكز على أبحاث

يمكن الاعتماد عليها فى تعداد السكان – وبينما يعكف الباحثون فى أوربا على دراسة الظواهر التى تشير إلى الانخفاض المستمر فى عدد السكان ، ويحاولون تبديد التشاؤم الذى تبينه نتائج دراسة إحصائيات تعداد السكان حيث تبين متى تختفى الأمة يذكر ذلك المستشرق أن تعداد مصر إذا – استمر معدل زيادته فى اضطراد سيكون الآتى :

١ – فى عام ١٩٣٧ بلغ تعداد مصر ١٥,٩٠٤,٥٢٥ مليونًا هذا عدا سكان البدو الذين يعيشون فى الصحراء ، فهم لم يدخلوا فى الإحصاء ويقدرون بحوالى ٥٠,٥٠٠ نسمة .

٢ – بعد ٦٠ عامًا من التعداد السابق سيبلغ تعداد السكان ٣٢ مليونًا أى أن عدد السكان سيتضاعف .

٣ – وبعد مائة سنة سيزداد سكان مصر إلى ٤٩,٦ مليون نسمة .

٤ – وبعد ٣٠٠ سنة سيصل حوالة ٥٠٠ مليون .

٥ – وبعد ٤٢٥ سنة سيصل حوالى مليارين أى سيكون فى مصر أعداد من البشر تساوى ما هو موجود الآن على ظهر الأرض .

٦ – وسيصبح فى مصر فى مدى ٩٦٨ سنة أى أقل من ألف عام بقليل أمة تعدادها ٩٧٣ مليارًا من البشر ، أى أنها سوف تنمو بشريًا إلى درجة لا تمكنها فقط من استعمار الكرة الأرضية بل من استعمار أعداد الكواكب السيارة الأخرى (يا عجبًا هكذا يتوهمون !) .

ثم يقول ذلك المستشرق : إن هذا الاضطراد فى زيادة عدد السكان يخلق مشاكل لا حصر لها ، ويبذر القلق فى مسارات السياسة الدولية ، ولا يقتصر ذلك على مصر وحدها ، بل سيوجد أيضًا مع اختلاف بسيط

فى الشرق الإسلامى كله ، ويتوقع المراقبون أن تكون هذه الظاهرة إحدى نقط الانطلاق والنزاع بين الشرق الإسلامى ودول الغرب – وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية فمائة عام وهو الزمن الذى قدر لبلوغ تعداد مصر ٤٩,٦ مليونًا من البشر زمن قصير فى حياة الشعوب وفى سجل التاريخ – وقد يرد على ذلك بأن ارتفاع عدد المواليد فى مصر يقابله ارتفاع فى عدد الوفيات ارتفاعًا غير عادى ، لكن الباحثين يستدركون ذلك فيثبتون أن أرقام الوفيات آخذة فى الهبوط ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى تحسن الوقاية الصحية بين الأهالى مما نتج عنه اختفاء الأوبئة ، وعلى أساس هذه الحقيقة سترتفع سرعة ازدياد السكان فى مصر .

وتركيا : تضارع مصر فى هذا المجال إن لم تكن وصلت إلى درجة التساوى معها فمساحة تركيا تكفى لعدد يتراوح بين ٦٠ ، ٧٠ مليون نسمة دون أن يصيبهم فقر أو يشعرون بحرمان ، فمساحتها تعادل مساحة ألمانيا وإيطاليا معًا ودلت الإحصائيات أن عدد سكانها تزايد بالنسب الآتية :

١ – فى عام ١٩٢١ بلغ ١١,٧ مليون نسمة

٢ – فى عام ١٩٢٧ بلغ ١٣,٦ مليون نسمة

٣ – فى عام ١٩٣٤ وصل إلى ١٧ مليونًا

واعتمادًا على الزيادة التى بينها الرقم الأخير والتى أوضحت مدى سرعة ارتفاع عدد السكان يكون تعداد تركيا عام ١٩٦٩ أكثر من ٣٢ مليون نسمة ، ويومئذ تصبح تركيا من الناحية العددية – قوة عظمى تقف فى منطقة حساسة بين الشرق والغرب – (يلاحظ أن عدد سكان تركيا كما توضحه الخرائط الجغرافية بلغ سنة ١٩٦٥ ٣١,٤٦٠,٠٠٠ نسمة) .

وفلسطين : شأنها شأن مصر وتركيا ، فقد كان عدد السكان اليهود فى فلسطين فى مارس ١٩٣٧ ثلث مجموع السكان تقريبًا والثلثان كانوا عربًا – زاد عدد مواليد اليهود فى الثلاثة أشهر الأولى من سنة ١٩٣٧ إلى ٢٦٣٠ مولودًا ، فى حين كانت زيادة مواليد العرب ضعف هذا العدد تقريبًا ، أى نسبة زيادة مواليد العرب كانت أكثر من ضعف نسبة مواليد اليهود ففى نفس الزمن بلغت مواليد العرب ما يقرب من ١٣,٣٠٠ مولودًا – فالخصوبة البشرية لدى العرب أكبر من الخصوبة لدى اليهود بمرتين ونصف .

وفى الوقت الذى أشارت الإحصاءات السكانية التى جرت بعد ذلك إلى أن عدد المواليد اليهودية انخفض بنسبة ١٠٪ إرتفعت عند العرب بنسبة ٤٪ ويفهم المرء من هذه الأرقام سر تمسك اليهود بجعل باب هجرة اليهود إلى فلسطين مفتوحًا حتى لا تقف الخصوبة البشرية بين السكان العرب عقبة كأداء على طريق آمال الصهيونية فى هذه المنطقة فهى تستطيع التغلب على وضع اليهود من الناحية العددية فى فترة وجيزة نسبيًا .

تعليقات بعض علماء الغرب المعاصرين
وكذا أحد علماء الإسلام :

أولاً : الكاتب الإنجليزى هيلر بلوك Hilaire Belloc كتب فى ذلك الآتى :

(لا يساورنى أدنى شك فى أن الحضارة التى ترتبط أجزاؤها برباط متين ، وتتماسك أطرافها تماسكًا قويًا ، وتحمل فى طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب – بل ستكون أيضًا خطرًا على أعدائه – ومن الممكن أن يعارض المرء هذا الرأى بأن الإسلام فقد

سيطرته على بعض الأشياء المادية وخاصة ما يتصل بالحرب – فهو لم يلحق بالتقدم التكنولوجى الحديث – ولا أستطيع أن أدرك لماذا لم يعوض الشرق الإسلامى ما فاته فى هذا الميدان ، إذ لا يحتاج علم الهندسة الحديثة إلى طبيعة عقلية خاصة ، بل يتطلب الإلمام بها والتفوق فيها إلى الخبرة وتوجيه الخبراء ، ومن المؤكد أنه غالبًا ما يحدث أن تكون حضارة ذات منزلة عالية فى التقدم التكنولوجى ، هى أقل درجة من حضارة أخرى لم تبلغ تطورها بعد فى هذا المجال ما بلغته الأولى ، إذن فهناك إحتمال كبير فى أن يصبح شعب ظهر حتى الآن بأن مواهبه من الناحية التكنولوجية ضعيفة ، سيدًا على شعب آخر استولت التكنولوجيا على حواسه ومشاعره فلم ينقذه أحد ، وتحكمت فى سلوكه النظريات التى تسلب الإحساس بالطبيعة – لماذا لايتعلم العالم الإسلامى ما تعلمنا فى مجال التكنولوجيا فى مقابل هذا سوف يكون من الصعب علينا استعادة التعاليم الروحية وهى من العوامل الأساسية لوحدة أوربية التى فقدتها المسيحية بينما لم يزل الإسلام يحافظ عليها).

ثانيا: الناشر الألمانى وليتم كولدمان Willetm Coldmam بمدينة ليبزج Leipzigبألمانيا الغربية كتب يقول فى صحيفته الدورية: إن هناك خطرًا متوهجا يمر عليه الإنسان فى أوربا بكل بساطة وفى غير اكتراث فأصحاب الإيمان بالإسلام يقفون اليوم فى جبهة موحدة معادية للغرب بينما الغرب نفسه لايستطيع سوى أن يعرض تمزقه فى غير حدود تجاه هذه الإرادة الحازمة.

ثالثًا : ويعلق على ذلك المرحوم الأستاذ/ الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر الأسبق بمصر بالآتى :

١ - إن هناك عداء بين الغرب الأوربى والشرق الإسلامى ، وسببه يعود إلى الحملات الصليبية التى أظهرت تكافؤاً فى القوة بين الشرق الإسلامى والغرب إذ ذاك ، ثم إلى الحملات الاستعمارية التى دلت على تفوق الغرب على هذا الشرق الإسلامى وجمود هذا الشرق وضعفه .

٢ - إن الحرب العالمية الأولى مزقت الغرب وأبعدت عنه عامل التكتيل ، وهو عامل الروحية المسيحية بينما هذه الحرب ذاتها جمعت بين المسلمين على أساس روحى ، وهو أساس الإسلام ويقولون فى أوربا : إن تلك الحرب قضت على الأفكار الإنسانية ودفنتها فى ساحة القتال ، فلا يوجد اليوم مبدأ يجمع الدول الغربية على طريق العمل المشترك والتعاون لحماية مصالحها فى أفريقيا وآسيا حتى من الناحية الدينية إذا نظرنا من جانبها إلى ما يمكن الاستفادة منه لتجميع أوربا ، إذ لم يعد للوحدة وجود بين الدول الغربية ولم يبق لأوربا اليوم بهذا العالم الآخر وهو - الشرق الإسلامى سوى الخوف - وبينما تزداد صورة البلاد الغربية تمزقًا يقترب الشرق (الإسلامى) من الوحدة التى ينادى بها المسلمون فيتفادى السقوط فى هوة الصراع السياسى التى سقطت فيها أوربا اليوم - وأن قوة القرآن فى جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن ولم تنجح الأحداث التى مرت على المسلمين فى القرون الأخيرة فى زعزعة ثقتهم به كقوة روحية تستطيع أن تجمع التيارات المختلفة التى نادى بها رجال يعدون من الصفوف الأولى التى صارعت الاستعمار الغربى على الصعيد السياسى وكيف جذبت الأحداث الإسلامية الزعماء إلى التكاتف والتساند ضد الغرب . ان الروح الإسلامية ما زالت تسيطر على تفكير القادة وعواطفهم وستظل كذلك مادامت هناك شعوب إسلامية ربطت مصيرها بتعاليم الإسلام ، واعتقدت أن الرباط الجامع بين أجناسها المختلفة هو الإسلام فروح التعاطف والتواد

بين المسلمين ، هو السبب الرئيسى فى تجميع القوى الوطنية على طريق القومية الإسلامية ، وأن للأزهر مواقف صلبة ضد الاستعمار الغربى مما يقتضى بمساعدة الوطنيين العمل على عدم إضعافه أو النيل من رسالته ومن زيادة علمائه وطلابه فالإسلام والأزهر قوتان مخيفتان للغرب المستعمر المستغل ، وهما معًا مصدر الثورة عليه فى البغض والكراهية له .

رابعًا : أما باول شمتز نفسه فإنه منذ إنتهاء الحرب العالمية الأولى ، دعا قومه الأوربيين إلى الوحدة فى مواجهة اليقظة الإسلامية التى لا ينقصها أى شىء من مقومات القوى الكبرى ، وذلك حتى يتمكن الأوربيون من الاحتفاظ بمصالحهم الاقتصادية والسياسية فى بلاد الشرق وكى لا يصبحوا فى الغد القريب أو البعيد تحت رحمة المسلمين .

وما زالت صلاحية دعوة باول شمتز للأوربيين جميعًا إلى التماسك فى مواجهة الإسلام قائمة اليوم رغم ظهور الصراع بين الرأسمالية الغربية ، وتمثلها دول أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وبين الاشتراكية والشيوعية ، ويمثلها الاتحاد السوفيتى منذ الحرب العالمية الثانية لأنه (كما يتصورون) لو قوى الإسلام فى غد المسلمين لأصابت رهبته طرفى الصراع الرأسمالى والشيوعى .

وبعد فهل آن للمسلمين قادتهم ، وأولى الأمر منهم أن يزدادوا إيمانًا بالإسلام والتمسك بتعاليمه وكتابه وسنة نبيه ﷺ إبقاء على وجودهم وحفاظًا على استقلالهم السياسى والاقتصادى ، ولا يكونوا عونًا للمستعمر (أيًا كان لونه سواء كان أبيض أو أحمر أو أصفر أو أسود) على إضعاف الإسلام أو النيل منه لأنهم يكونون قد فقدوا الرباط الروحى الوحيد فضلاً عما هم فيه من تخلف واسع المدى على التفوق الأوربى الحضارى المادى

والعلمى والتكنولوجى والواجب عليهم اللحاق به ويحذر الله المسلمين من مثل هذه الأمور فيخاطبهم فى شخص الرسول الكريم ﷺ تحذيرًا قائمًا دائمًا إلى يوم القيامة فيقول جلت كلماته : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُو الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِن اللَّهِ مِنْ وَلَىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾[1] .

كما يقول سبحانه : ﴿ الذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ ونعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء واتَّبَعُوا رِضْوانَ اللَّهِ واللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ، إِنَّما ذَلِكُم الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلياءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

فإن هؤلاء المفكرين من بلاد الغرب الذين تفيض قلوبهم حقدًا على الإسلام والمسلمين ، مثلهم كمثل الشيطان يخوفون أولياءهم فقط لكن المسلمين حقًّا لايخشونهم لأنهم أنصار الله والله لا يتخلى عن أوليائه الناصرين له كما قال سبحانه:﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّت أَقْدَامكُمْ ﴾[3] .

فضلاً عن أن الإيمان القوى يمحو الخوف من القلوب إلا خوف الله تعالى ، وهو خوف بعيد عن الجبن لأنه خوف ممزوج بالحب وموصول بالأمن ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[4]

---

(١) سورة البقرة : ١٢٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣) سورة محمد : ٧ .

(٤) سورة الأنعام : ٨٢ .

نابليون
هل تحول حقيقة إلى دين الإسلام قبل وفاته ؟ ؟

طالعتنا المجلة العربية فى عددها الصادر فى جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥هـ الموافق آذار (مارس) سنة ١٩٨٢م ، بمقالها الممتع تحت عنوان (حقيقة جديدة هل أسلم نابليون ؟ للأستاذ على السبيعى ، والذى انتهى فيه إلى القول بأن نابليون فى أغلب الظن تحول إعجابه بالإسلام إلى عقيدة له أو كاد .

ثم طرحت المجلة العربية هذا الرأى للنقاش لمحاولة إستجلاء الحقيقة حول الحالة الدينية التى توفى عليها ذلك القائد الأوروبى الطامح ، فربما كان متأثرًا بالإسلام كما تأثر غيره وكتب عن الإسلام ولم يسلم .

وقد حررنا مقالاً عن ذلك ونشرته المجلة العربية فى عددها الصادر فى رمضان سنة ١٤٠٥هـ **وتضمن الآتى :**

إنه من المستبعد أن يكون نابليون فى أعماق وجدانه مسيحيًّا ، فإن عبقريًّا مثله أوتى عقلاً كبيرًا ومواهب عسكرية فذة يستحيل أن يستسيغ عقيدة التثليث ، أو يقبل عبادة القربان أو انقلاب الفطير والخمر إلى جسد المسيح ودمه ، ولو أنه بنى حياته العقلية على إمكان أن يكون الثلاثة واحدًا أو الواحد ثلاثة ما انتصر فى معركة واحدة ولو كانت ضد أطفال صغار .

ولما قاد نابليون حملته العسكرية على مصر فإن سيرته على رأس الجيش الفرنسى تؤيد هذا النظر ، لأنه بعد احتلاله البلاد المصرية ، سلك فى معاملة المصريين وهم مسلمون فى غالبيتهم طريقًا يغاير تمام المغايرة مسلك القادة الأولين للحملات الصليبية لأنه دخل مصر مدعيًا أنه مسلم ، ومنوهًا بقيمة الإسلام متوددًا لأهلها ، ثم طلب من جنوده أن يعتبروا الإسلام دينًا مثل المسيحية واليهودية ، وهذا نوع من الاعتراف كانت أوروبا تضن به على المسلمين وهى لم تعترف به فى تاريخها الحديث إلا بعد ما اعترفت بالبوذية والبرهمية كأديان كبيرة لها أتباع يعدون بالملايين .

وفى خطاب نابليون لجنوده قبل أن ينزل إلى أرض مصر يقول (إن الشعب الذى سنعيش معه يدين بالإسلام وأول ما يؤمن به ، هو أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فلا تنازعوه فى ذلك بل عاملوا هؤلاء المسلمين كما عاملتم اليهود والإيطاليين ، واحترموا مشايخ الإسلام كما احترمتم الحاخامات والمطارنة وأظهروا للمواسم الدينية وللمساجد التسامح نفسه الذى أظهرتموه إزاء الأديرة والمعابد وإزاء ديانة موسى والمسيح) .

وفى نداء وجهه إلى الشعب المصرى يقول فيه : (إن الفرنسيين اقتحموا روما الكبرى وضربوا كرسى البابا الذى كان يحث المسيحيين دائما على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا إلى جزيرة مالطة وطردوا منها فرسان القديس يوحنا الذين يزعمون أن الله انتدبهم لمحاربة المسلمين) .

وعندما تقدم إلى أسوار الإسكندرية وجه نداء إلى الشعب المصرى يقول فيه : (لسنا كفار العصور الهمجية الذين يأتون إليكم لمحاربة إيمانكم ، إننا نعترف بأن إيمانكم رفيع القدر) .

ثم يقول للمصريين فى صراحة تثير الدهشة : (وسوف نعتنق دينكم إذا حلت الساعة التى يصبح فيها الفرنسيون الراشدون مؤمنين حقيقيين) .

وبعد أن أتم نابليون احتلال القاهرة كتب إلى أحد رجاله وهو الجنرال (مارمون) فى ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ خطابا يقول فيه : (قابل من طرفى الشيخ المسيرى وقل له كيف احتفلنا بمولد النبى ، قل له إنى فى القاهرة اجتمع برؤساء القضاء وكبار القوم ثلاث أو أربع مرات كل عشرة أيام ، وإنى أكثر الناس اقتناعًا بصفاء الديانة الإسلامية وكذا أيضا بقداستها ، وفى نفس اليوم كتب إلى الشيخ المسيرى مباشرة يقول له : (أرجو ألا يتأخر الوقت الذى أستطيع فيه جمع العناصر الحكيمة والمثقفة فى البلاد ، ووضع نظام يرتكز على مبادئ القرآن الحقة الوحيدة التى تستطيع إسعاد البشر دون سواها)[1] . مما تقدم بيانه يتبين لنا :

١ - أن نابليون قبل إقدامه على فتح مصر لابد أن يكون قد قرأ كثيرًا عن الشرق وعن الإسلام .

٢ - دراسته للشرق والإسلام جعلته يتعرف على حقيقة الإسلام وسمو شريعته وعدالة أحكامه ، فاحترم الإسلام ونبى الإسلام بوصفه الرجل الذى دعا الناس إليه .

هل اهتدى نابليون بفطرته إلى عقيدة التوحيد :

إذا كان المرء لا يمكنه الجزم بأن نابليون قد اعتنق الإسلام لعدم وجود دليل مقنع على ذلك إلا أنه ممن الممكن اعتباره من أولئك الرجال الكبار والمفكرين العظام ، الذين اهتدوا بفطرتهم وقراءاتهم إلى الإيمان بإله واحد

(١) كتاب تاريخ الجبرتى والمسمى عجائب الآثار فى التراجم والأخبار وكذا كتاب المختار من تاريخ الجبرتى لمحمد قنديل البقلى .

مهيمن على هذا العالم ، ويملك ، زمام أموره فهم يصدقون بعقيدة التوحيد الناشئة عن محض تفكيرهم الخاص . وإضافة إلى ذلك نرى أن نابليون وإن لم يكن مسيحيًّا ولا مسلمًا إلا أنه يرى الإسلام أقرب إلى طبيعته العقلية من المسيحية ، ويشير إلى ذلك العثور على القرآن بجواره بعد وفاته .

وهذا الرأى الذى نعرضه يراه لفيف من العلماء المعاصرين نذكر منهم العالم البحاثة والداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد الغزالى فى بعض كتبه[1] .

وفى ضوء هذه النتيجة التى انتهينا إليها فى عقيدة نابليون من أنه كان مصدقا بعقيدة التوحيد يمكن أن نفسر :

١ - نداءاته التى وجهها إلى الشعب المصرى المسلم ، وفيها التقدير والاحترام للإسلام وللنبى محمد ﷺ .

٢ - معاملته للمصريين ومحاولته التودد إليهم وإلى علماء المسلمين من رجال الأزهر وهو لم يضطهدهم بعد ذلك لدينهم الإسلامى عندما ثاروا عليه ، لكنه اضطهدهم لمقاومتهم سياسته المرسومة وأطماعه الخاصة .

٣ - لم يكترث لوفود الأقباط المسيحيين لما هرعوا لاستقباله بقلنسواتهم وملابسهم المزركشة والموشاة بالصلبان بعد أن تم للفرنسيين احتلال البلاد المصرية .

٤ - بل إنه لما لاحظ عند تنظيمه أمور البلاد الإدارية والاقتصادية أن هؤلاء الأقباط المسيحيين كانوا يستغلون الحكام المسلمين ويختلسون الأموال الجسيمة قرر إقصاءهم عن إداراتهم واستبعادهم من وظائفهم .

(١) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام تأليف الشيخ محمد الغزالى .

٥ - وظل الأقباط المسيحيون مستبعدين من قبل نابليون عازفًا عن قبول أى عون منهم طيلة مدة وجوده بمصر ، حتى إذا عاد إلى فرنسا وتولى قيادة الحملة الفرنسية الجنرال كليبر أذن للأقباط المسيحيين ، أن يؤلفوا فرقة عسكرية لمعاونة الجيش الفرنسى ، وقد رأس تلك الفرقة المارقة رجل مسيحى يدعى يعقوب القبطى ، وكان يعمل جاهدًا فى خدمة سادته الفرنسيين لذلك أنعم عليه الفرنسيون بلقب جنرال .

٦ - وعند جلاء الفرنسيين عن مصر خافوا عليه من فتك المصريين به وقتله لذلك أخذوه معهم إلى فرنسا لكنه مات خلال رحلة العودة لقوات الحملة الفرنسية إلى بلادها[1] .

(١) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، المرجع السابق .

الشعب المصرى
عراقة أصله العربى[1]

مصر مربع الفضلاء ، ومرتع النبلاء ومطلع البدور ، وموضع الصدور ، وأهلها أذكياء أزكياء ، يبعد من أقوالهم وأعمالهم العى والعياء .

بهذا الوصف الجميل الرائع وصفها ووصف شعبها العماد الأصفهانى الكاتب الأديب فى دولة بنى أيوب[2] .

عمارة مصر بعد الطوفان :

يذكر القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى أن أول من عمرها بعد الطوفان كان بيصر بن حام بن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ولما مات جاء بعده ابنه مصر أو مصريم الذى قيل إن البلاد تسمت باسمه فحكم البلاد وعمرها وكثر خيرها ، واستمرت ذرية حام بن نوح فى إدارة حكم البلاد وعمارتها حتى وفد إليها العماليق وهم من العرب البائدة كانوا يقطنون شمال الجزيرة العربية فغلبوا على مصر وحكموها وهم أصل الفراعنة المصريين[3] .

أصالة العروبة فى شعب مصر ..

والشعب المصرى عريق فى عروبته منذ أقدم عصور التاريخ تلك حقيقة أثبتها البحث العلمى النزيه والتقصى التاريخى لمنطقة المشرق العربى ولتاريخ

---

(١) نشرت بمجلة الأزهر جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤ هـ مارس سنة ١٩٨٤ م .

(٢) كتاب فريدة القصر وجريدة العصر تأليف العماد الأصفهانى الكاتب – الجزء الأول .

(٣) كتاب صبح الأعشى لأبى العباس أحمد القلقشندى الجزء الثالث .

أجناسها ، فلقد انتشر العرب فى هجرات سلمية منذ أجيال سحيقة فى أعماق التاريخ القديم ويؤيد العلماء هذا القول كل فى تخصصه :

١ - فعلماء المناخ يؤكدون أن ذبذبات المناخ فى العصور التاريخية القديمة قد دفعت بالعرب من المناطق الجافة الفقيرة فى وسط الجزيرة العربية إلى أماكن الغنى والاستقرار فى الشام واليمن وعمان والعراق ووادى النيل .

٢ - وعلماء الجغرافيا يؤكدون أن شبه الجزيرة العربية كانت متصلة بأفريقية إلى أن ظهر البحر الأحمر ظهورًا مفاجئًا فصل بينهما ، أى أن شرق العرب ومغربهم كانا يكونان وحدة جغرافية واحدة .

٣ - وعلماء الأجناس يقولون : إن الصفات الجنسية كشكل الرأس والشعر وأبعاد الأطراف والخصائص الدموية تقوم دليلاً على أن سكان المنطقة التى يسكنها العرب فى الوقت الحالى يكونون وحدة جنسية .

٤ - وعلماء اللغة يؤكدون أن لغات الشعوب التى استقرت فى المناطق العربية فى العصور القديمة ترجع إلى أصل واحد هو الأصل السامى ، فلما جاء الإسلام وتجددت الموجات العربية لم يكن فى ذلك سوى التقاء الفروع بالأصول – أصول واحدة ، أجداد وآباء وأحفاد كلهم من العرب[1] .

ولئن كانت مصر قد تعرضت طوال تاريخها للغزو من كثير من الدول إلا أن شعبها العريق كان من القدرة على أن يذيب الغزاة فى مجتمعه وأن يحصن نفسه فيحتفظ المجتمع المصرى بكامل صفاته الأساسية حتى كان الفتح الإسلامى العربى ، ولأول مرة يذوب الشعب المصرى فى هذا النظام

(١) كتاب مفاهيم المجتمع العربى الجديد تأليف الأستاذ محمد عبد الوهاب زايد .

الجديد ذوبانًا حير علماء التاريخ الذين لم يفطنوا إلى الحقيقة الأزلية ألا وهى أن مصر عربية أصلاً وفصلاً ، وقلبًا وقالبًا حتى من قبل ظهور الإسلام .

ماذا كان يقصد بلفظ (عربى) قديما :

١ - إن أقدم نص ورد فيه لفظ (عرب) هو نص أشورى يعود إلى الملك شلمنصر الثالث ملك آشور فيما بين سنة ٨٥٩ حتى سنة ٨٢٤ قبل الميلاد[1] .

٢ - وكان أهل العراق يقصدون من وراء هذا اللفظ الإشارة إلى مشيخة البادية أو مقاطعة البادية المتاخمة للحدود الغربية الآشورية ، وتدريجيًا اتسع مفهوم لفظ عرب بحيث تشمل كل البادية العربية الكائنة غرب نهر الفرات . والفاصلة بين العراق والشام بما فيه شبه جزيرة سيناء ، أى كل المنطقة الواقعة فى شمال شبه الجزيرة العربية .

٣ - وكان قدماء المصريين يعتبرون المنطقة الممتدة شرق النيل إلى غرب الفرات بلدًا واحدًا بما فيها بلاد العراق وبلاد الشام وشبه جزيرة سيناء ، وكانوا يطلقون على سكان هذه المنطقة (عامو) .

٤ - ولقد أكد المؤرخ اليونانى هيرودوت المتوفى سنة ٤٣٥ قبل الميلاد القول بأن كلمة (عربية) يقصد بها شبه جزيرة العرب كلها ، مضافا إليها ما هو شرقى بوادى النيل وهو المعروف بالصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء وذلك لكثرة من كان مستقرًا فى تلك المنطقة من العرب الوافدين إليها فى جماعات متفرقة ومتتابعة .

---

(١) آشور مملكة قامت قديمًا شمال العراق .

٥ - ثم تطور مفهوم كلمة عرب شيئًا فشيئًا حتى جرى العرف على التسليم به كعلم على قومية خاصة ، أو اسم لجنس معين ، وهم سكان منطقة الشرق الأوسط العربية ، مع ملاحظة أنه كان يطلق فى الماضى على شبه جزيرة العرب أنها مهد السامية ، وأنها المنبع الذى خرجت منه الموجات المتلاحقة من الهجرات السامية خارج شبه الجزيرة العربية .

٦ - وبعد قيام الدولة الإسلامية الكبرى اندرج تحت اسم العرب كل سكان المناطق والبلاد الواقعة فيما بين المحيط الأطلسى والخليج العربى الفارسى وذلك من قبيل غلبة عنصر العرب على باقى العناصر المحلية ، ثم اختلاطها وانصهارها جميعها فى بوتقة التقاليد والتاريخ والمصلحة المشتركة فى المصير والآلام والآمال ، فأطلق على تلك البقعة البلاد العربية ولم تكن هناك عوائق تعوق الترحال والانتقال فقامت هجرات واختلاطات واندماج ، وكل ذلك انصهر فى بوتقة الفتوحات الإسلامية بوحدة الضمير أو القومية وأصبحت عروبة شاملة للأنساب بلا عصبية ، وجامعة للأديان بلا تعصب[1] .

شبه جزيرة العرب والهجرات السكانية :

مما لا جدال فيه أن شبه الجزيرة العربية كانت بمثابة الخزان الهائل للسكان المهاجرين إلى المنطقة المحيطة بها خصوصًا إلى وادى النيل وبلاد العراق وبلاد الشام ، وقد حدث هذا قبل ميلاد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بأكثر من ٣٥٠٠ عام ، وظل يتكرر دائمًا على مدى العصور والأجيال ، حيث كانوا يفدون إلى مصر عن طريق باب المندب

(١) كتاب مصر عربية للأستاذ محمد فاوى عسر من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة .

وعن طريق سيناء وعن طريق الثغور العربية والمصرية التى كانت موجودة على البحر الأحمر[1] .

استقرار العروبة فى مصر منذ أقدم العصور :

وفى ذلك يدلل المرحوم الدكتور عبد الحميد العبادى عميد كلية الآداب الأسبق بقوله :

(إن المصريين والعرب هما فى الحقيقة أبناء بيئة تكاد تكون واحدة ، فالعلاقات التاريخية بينهما منذ فجر التاريخ شبكة متصلة ، ثم إن مصر كانت قد تعربت إلى حد ما قبل الفتح العربى ، فجزيرة سيناء كانت تعمرها قبائل عربية ، انضم بعضها إلى جيش عمرو بن العاص فى زحفه إلى مصر ، وفى الجاهلية عبرت إلى مصر واستقرت على سواحل البحر الأحمر ، وفى شمال السودان قبائل عربية يذكر ابن خلدون بعضًا منها مما يؤكد أن بداية استعراب وادى النيل سابقة على الفتح العربى بكثير ولما جاء الفتح العربى حدث امتزاج بين المصريين وبين القبائل العربية المهاجرة إلى مصر خصوصًا بعد اعتناق غالبية الشعب المصرى لعقيدة الإسلام ، وإقبالهم على التكلم باللغة العربية حتى غلبت العربية على ما سواها من اللغات ومازالت السرعة التى انتشرت بها اللغة العربية عقب الفتوحات الإسلامية لغزًا يثير حيرة المفكرين خاصة وأن اللغة العربية ليست باللغة السهلة أو القليلة التعقيد[2] .

المصريون القدماء جاءوا أصلا من شبه جزيرة العرب :

يتفق كثير من المؤرخين والأثريين على أن شبه الجزيرة العربية كانت الموطن الأصلى للمصريين القدماء، ونسوق فى ذلك أولا شهادة علماء الغرب:

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

١ - يقول العلامة (جونستون) فى كتابه (استعمار أفريقيا) .

إن المصريين القدماء قدموا إلى وادى النيل من شبه جزيرة العرب ثم اختلطوا بجماعات من الصوماليين والليبيين ، وإن جماعات من العرب قد استمرت تفد إلى مصر فى عصور مختلفة متعاقبة مهاجرة أو غازية ، وسرعان ما كانت تندمج فى المجتمع المصرى الكبير الذى قامت بعض أسسه الأولى على عرائق أسلافها .

٢ - ويؤكد العلامة (شوين فورت) أن المصريين القدماء قدموا فى الأصل من بلاد اليمن وحضرموت ويعلل ذلك بظواهر نباتية إذ يرجع كثير من نباتاتهم الأولى إلى تلك البلاد مثل القمح والشعير والكتان .

٣ - أما الدكتور (رينر) وهو عالم أمريكى من أصل ألمانى تعلم اللغة الهيروغليفية[1] فى برلين (وأقام أكثر من ثلاثين سنة فى مصر للتنقيب عن آثارها فى منزل قرب أهرام الجيزة مع أعضاء بعثة أمريكية أوفدتها جامعة هارفارد ومتحف بوستون) فيقول فى أبحاثه :

إن المصريين القدماء كانوا خليطًا من العرب والليبيين ، وإن الحروف الخاصة بلغة العرب والتى تعد من سماتها المميزة كحروف الحاء والعين والقاف والصاد والضاد ، كان لها مثيل فى لغة المصريين القدماء ، وحتى الفرق بين السين والصاد كان واضحًا كل الوضوح فى تلك اللغة .

٤ - ويقول الدكتور (إسرائيل ولفنستون) فى كتابه (تاريخ اللغات السامية) إن شمال مصر كان دائم الاتصال بالقبائل العربية قبل الإسلام .

(١) الهيروغليفية كانت لغة المصريين القدماء .

٥ - ويقرر العلامة (بروكس بك) فى كتابه (تاريخ مصر تحت حكم الفراعنة) ، إن أطراف الدلتا الشرقية ومنطقة المنزلة كان يغلب على سكانها العنصر العربى قبل الفتح الإسلامى .

٦ - ويذكر المؤرخ (استرابون) أن نصف سكان مدينة (قفط) بجنوب مصر كان من العرب ، ولعل أقدم القبائل العربية التى أقامت بمصر منذ عهد الفراعنة قبيلة (ألمازة) التى ورد ذكرها فى النصوص الهيروغليفية القديمة باسم (مازيو) وكان أفرادها يجلبون البخور من شبه جزيرة العرب إلى المعابد المصرية القديمة[1] .

٧ - ويقرر المؤرخان الألمانيان أدولف أرمان وهرمان رانكة فى كتابهما (مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة) .

إن المصريين القدماء ينتمون إلى أجناس من البدو عاشوا فى البلاد المتاخمة لمصر وفى بلاد العرب ، لذلك فقد كان للغات السامية ومنها اللغة العربية أثر ظاهر فى اللغة المصرية القديمة .

٨ - أما الأستاذ (شارب) فيروى فى كتابه (مصر تحت حكم الرومان) إن سبب نجاح قمبيز ملك الفرس فى غزو مصر يرجع إلى استعانته بجنود من العرب فرحب بهم الفلاحون المصريون ، وأحسنوا استقبالهم لأنهم كانوا يمتون إليهم بصلة القربى ولعلهم كانوا يأملون منهم تخليصهم من استبداد حكامهم الطغاة .

---

(١) كتاب الدرر الذهبية فى أصول أبناء الأمة العربية تأليف الأستاذ محمد أحمد عيد الهاشمى .

٩ - ويؤيد الأستاذ (مالان) فى كتابه (الوثائق الأساسية للكنيسة القبطية) ما ذكره سلفه ويضيف إليه قوله .

إن كثيرا من أعيان مصر عند الفتح الفارسى كانوا من أصل عربى فرحبوا بأقاربهم الذين كان يضمهم الجيش الفارسى ، إلا أن الفرس هزموا وردوا على أعقابهم عندما تمرد جنودهم من العرب وشقوا عصا الطاعة عليهم[١] .

شهادة علماء المشرق عن أصل المصريين العربى :

١ - يقول الهمذانى فى كتابه (صفة جزيرة العرب) إن بعض قبائل (قضاعة) مثل تنوخ وسليم وبلى كانت تسكن شبه جزيرة سيناء وأن ديارها كانت تمتد عند فرع النيل الشرقى كما كانت بعض قبائل (كهلان) مثل طيئ وجذام ولخم تمتد مساكنها من شبه جزيرة سيناء حتى وادى النيل .

٢ - ويذكر الدكتور عباس مصطفى عمار فى كتابه (المدخل الشرقى لمصر) إن سكان مدينتى رفح والعريش وبعض المدن الأخرى الواقعة شرقى النيل كانوا من العرب المسيحيين ، وكانت تلك الجماعات تفد إلى وادى النيل تباعًا ، وتفضل فى بادئ الأمر أن تحتفظ بكيانها القبلى ، وملامحها البدوية حتى إذا مارست الزراعة وذاقت ثمارها عافت حياة الترحال وطاب لها الاستقرار ، وتخلصت من تقاليدها القبلية البدوية المتوارثة كما يحدث الآن عامًا بعد عام فى أطراف وادى النيل حيث تفد جماعات من البدو الذين أنهكتهم حياة الصحراء ، وتجذبهم ظلال الريف وخيراته فيختلطون

(١) كتاب مصر عربية للأستاذ محمد فاوى عسر .

شيئًا فشيئًا بسكانه الفلاحين الذين قد لا يكونون أقل منهم عروبة وإن كانوا أسبق منهم إلى التحضر .

٣ - وقد تحدث الدكتور إبراهيم نصحى فى كتابه (تاريخ مصر فى عهد البطالمة) عن هجرات العرب إلى مصر وتأثيرهم فى الحياة العامة فيها ، وأنه كانت توجد قرى مصرية تتناثر فى أرجاء البلاد ينتمى سكانها جميعًا للعرب الذين آثروا حياة الزراعة والاستقرار ، وقد عثر فى إحدى تلك القرى وهى قرية بويس فى محافظة (منف) على خطاب صادر من اثنين من سكانها العرب سنة ١٥٢ قبل الميلاد باللغة الإغريقية حرره لهما شاب يدعى أبولونيس لجهلهما بالقراءة والكتابة .

كما عثر على أوراق أخرى تتضمن أسماء أعراب آخرين كانوا يشتغلون فى ذلك العهد القديم برعى الماشية فى ضيعة لوزير المالية بالفيوم .

وأزيد من ذلك فإنه كانت توجد منذ القدم محافظة بأكملها على فرع النيل الشرقى تسمى (أرابيا) أى بلاد العرب ، وقد عرفت فيما بعد باسم أرض (أويناس) ، ولعلها من الأماكن التى اندثرت فى العصور الأخيرة[1] .

٤ - ويقرر المرحوم عباس العقاد عن أصل المصريين الآتى :

يقول المستعمرون : إن المصريين ليسوا عربًا وإنما هم فراعنة يتوسلون بمساعداتهم للدول العربية لهدف التوسع فقط ، وهذه الفرية تدحض بمنطق العلم الذى يؤكد أن الفراعنة ينحدرون من أصل عربى ، وقد خلص عالم الآثار العلامة (ألبرت سميث) وهو من أشهر علماء الأجناس أيضًا بعد دراسات مضنية إلى أن التماثل تام فى التكوين الجسمانى للعرب المحدثين ،

(١) المرجع السابق .

الذين يسكنون اليمن والحجاز والبدو الرحل الذين يفدون إلى مصر من آن لآخر ، ولا يختلف عن النماذج الجنسية التى عرفت من البقـايا العظمية لسـكان مصر فى عهـد ما قبل الأسرات ، وأنه من الصعب التمييز بين الهياكل البشرية المصرية القديمة والهياكل البشرية العربية الحالية[1] .

٥ - ذكر العالم الأثرى المصرى الكبير المرحوم أحمد كمال باشا فى محاضرة ألقاها بمدرسة المعلمين فى سنة ١٩١٤ ، أنه خرج من دراسته للغة المصرية القديمة منذ كان فى الثامنة عشرة من عمره حتى بلغ الستين إلى اكتشاف نتيجة هامة ، وهى انتماؤها إلى نفس الأصل الذى تنتمى إليه اللغة العربية ، وذلك إن لم تكونتا لغة واحدة تفرقتا بما دخلهما من القلب والإبدال كما حدث فى كل اللغات القديمة .

وقد لفت نظره إلى هذه الملاحظة أنه أثناء دراسته للغة المصرية القديمة على الأسلوب الذى تلقاه من (بروكس بك) ، وجد أن للألفاظ العربية مثيلاً فى اللغة المصرية القديمة فجعل يدون ملاحظاته ، وانتهى إلى وضع قاموس لغوى ، أثبت فيه اشتراك أكثر من عشرة آلاف كلمة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة مما يدل على اتحاد هاتين اللغتين فى أصليهما[2] كما لاحظ أن المصريين القدمـاء كانوا ينظـرون إلى شبه جزيـرة العرب نظرة احترام وتقديس ، ويعتبرونها أرضًا مقدسة فآلهة العرب القديمـة فى الجاهلية (اللات والعزى ومناة) كانت من آلهة المصريين القدماء .

(أ) فقد عرف المصريون (اللات) بنفس هذا الاسم وكانت آلهة الحصاد والنمو .

---

(١) كتاب الدرر الذهبية فى أصول أبناء الأمة العربية تأليف الأستاذ محمد أحمد عيد الهاشمى .

(٢) المرجع السابق .

(ب) أما (العزى) فهى المعبودة المصرية (أزى) وكانت إحدى (الحاتحورات) السبع[1] .

(جـ) والمعبودة (مناة) كانت إحدى الحاتحورات السبع أيضا ووجدت رسومها فى هيكل أسنا[2] .

٦ - ويتساءل الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح أستاذ الحضارة بجامعة القاهرة فى دراساته تحت عنوان (إلى أى الأجناس ينتمى شعب مصر القديمة وإلى أى حد يمكن أن تلمسه فى شعب مصر المعاصرة) فيقول : داومت مصر القديمة اتصالاتها بجيرانها الساميين فى الشرق عن طريق معبريها الرئيسين شبه جزيرة سيناء والبحر الأحمر ، وأفضت هذه الاتصالات إلى استمرار التجانس فى الملامح البشرية وأصول اللغات بين أهلها وبين جيرانها ، وهو تجانس مازالت تؤيده حقيقة مادية ملموسة تتمثل فيما نعرفه من أن المصريين هم من أقرب الساميين شبها بعرب الأردن وشمال شبه الجزيرة العربية الآن ، حيث استعد المصريون للامتلاء البدنى أكثر من جيرانهم نتيجة لظروف بيئتهم الزراعية فى مقابل بيئة جيرانهم الصحراوية أو شبه الصحراوية .

وعن الحديث عن مدى روابط اللغات القديمة عند المصريين وعند بقية جيرانهم من الساميين تحس التفرقة بين طرق الكتابة فى ناحية ، وبين اللغات المنطوقة فى ناحية أخرى ، فمهما بدا للعين من غرابة تصور الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) إلا أن لغتها المنطوقة تضمنت من الأصوات والصيغ والمفردات السامية مالا يمكن معه أن ترد صلتها

(١) الحاتحورات كانت تعنى عند المصريين القدماء المعبودات السماوية .

(٢) المرجع السابق .

بالأصول السامية إلى مجرد اقتباسات طارئة ، وإنما لا سبيل إلى تفسير هذه الصلة إلا بافتراض أصل مشترك لها ، ويتطلب شرح هذه القضية عقد مقارنة بين خواص اللغة المصرية القديمة وبين خواص اللغة العربية الفصحى طبقًا لما يلى :

الخواص المشتركة :

١ – أخذت اللغة المصرية القديمة فى قواعد نحوها بكثير مما نعرفه عن خواص اللغة العربية .

٢ – من حيث وجود العين والحاء والقاف بين حروفها ، وهى حروف اقتصر تداولها على اللغات السامية .

٣ – ثم من حيث شيوع الأفعال ذات المصدر الثلاثى فيها وغلبة الأفعال المعتلة الآخر بينهما .

٤ – ومن حيث ما أخذت به من تركيب عباراتها من سبق الفعل للفاعل وإلحاق الصفة بالموصوف أو تأكيد الجمل الاسمية ببدئها بحرف (إن) .

٥ – ومن حيث استخدام صيغة المثنى ، وإضافة تاء التأنيث فى نهاية بعض الأسماء والصفات المؤنثة واستخدام تمييز البعض من الكل .

٦ – وكذا استخدام (ياء النسبة) ، واستخدام (ياء الإضافة) للمتكلم .

٧ – واستخدام (كاف المخاطب) فى حالة المضاف إليه والمعطى له .

٨ - واستخدام (نون الجمع) و (واو الجماعة) ، وإضافة (ميم المكان) ، و (ميم الأداة) لتكوين أسماء مركبة وكل ذلك مما لا يتأتى إلا عن طريق وحدة الأصل القديم بين اللغتين[1] .

وتشهد بعض المفردات المصرية القديمة . بمثل ما شهدت به قواعدها مع تغيرات طفيفة فى النطق ترتبت على اختلاف اللهجات بين بلد وآخر وبين إقليم وآخر .

١ - فكان من الأفعال التى نطقها المصريون القدماء ما يشبه نطقها فى لغتنا العربية أفعال (حسب - ختم - حب - خر - شد - نم - وعى - وهن - هوى - عشق - حزن - نقم) .

٢ - وهناك من الأسماء التى نطق المصريون القدماء بما يشبه نطقها الحالى فى اللغة العربية كثير نذكر منها : (ذئب - جناح - قمح - بركة - منحة - همهمة - عين - صباع (إصبع) - أيد (يد) - ودن (أذن) وكل ذلك إلى جانب متشابهات أخرى فى (الضمائر) ، و (القواعد) .

وينتهى الأستاذ الدكتور عبدالعزيز صالح فى نهاية دراساته بما لايدع مجالا لأى شك فى أن أبناء مصر القديمة، هم من أجناس أبناء الجزيرة العربية أصلاً ولغة وديناً، وأنه قديمًا عندما دخلت المسيحية مصر لم تدخل إليها إلا بدين جديد لم يغير شيئا من جنسيتها، وعندما دخلها الإسلام دخل إليها بدين جديد سمح كريم ولغة عربية لها بعض الروابط

(١) كتاب الدرر الذهبية فى أصول أبناء الأمة العربية تأليف الأستاذ محمد أحمد عيد الهاشمى .

باللغة المصرية القديمة ثم بدم عربى جدد الدم السامى القديم، ولم يكن مختلفًا عنه فى شىء كثير[1].

وبعد :

فخلاصة القول أن الشعب المصرى فيه أصالة السامية وعراقة العروبة وذلك منذ أعمق عصور التاريخ القديم وحتى عصرنا الحديث .

يؤكد هذا المعنى العالم الجغرافى المعاصر الدكتور جمال حمدان فى كتابه . (شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان) .

إذ يقرر :

« أن مصر تنتمى إلى العالم العربى انتماء جغرافيا وحضاريًا وسياسيًا واقتصاديًا فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل ، وهى بتجانسها ووحدتها تتحرك ككتلة واحدة دون أن تعرف الانقسامات والشظايا ، ولهذا كان الاستقرار السياسى فى مصر سمة واضحة لها فهى بمطلق حجمها وبتجانسها المطلق مركز الثقل وقطب القوة فى العالم العربى ، ينتشر ظلها وشبه الظل ، بل والصدى بعيدا فى آفاقه والتاريخ يسجل أن مصر كانت ملتقى العرب ومجمع الأسرة .

وأحيانًا ملجأ وملاذًا وخط الدفاع الأخير عن التراث العربى .

ففى العصور الوسطى حين بدأت أخطار الأندلس ، وقلاقل المغرب تدفق العلماء والصناع على مصر ، كابن خلدون والإمام القرطبى وغيرهم من عرب الأندلس ، ومن العراق مع الطوفان المغولى وبعدهم انتقل العلماء والأدباء والكتاب العرب إلى مصر .

---

(١) المرجع السابق

وفى العصور الحديثة خاصة القرن الأخير كانت مصر بؤرة تستقطب موجات النازحين ، والمهاجرين من عرب الشام من المثقفين والمضطهدين .

وفى كل الحالات كانت مصر تلعب دور المنار للإسلام ودور المنبر للعروبة ، وإذا كان لهذا مغزى فهو ليس أنها تجمع بين الأضداد والمتناقضات ، وإنما هى تجمع بين أطراف متعددة وجوانب كثيرة خصبة ، وبين أبعاد وآفاق واسعة بصورة تؤكد فيها أن مصر مالكة للحد الأوسط مما يجعلها أمة وسطا .

أمة وسطا فى الموقع والدور الحضارى والتاريخى ، وفى الموارد والطاقة .

وأمة وسطًا فى السياسة والحرب وفى النظرة والتفكير ، ولعل فى هذه الموهبة سر صمود شعبها وبقائه وحيويته واحتفاظه بعروبته على مر العصور ورغم مر العصور » .

انتهى كلام الدكتور جمال حمدان[1] .

ولعل فيما ذكره ذلك الباحث الكبير ما يفسر لنا سر وصية رسول الله -ﷺ- لأصحابه بمصر .وبشعبها فيما يروى عنه إذ يقول (ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحما)[2] :

أما الرحم فإن هاجر زوج أبى الأنبياء إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وأم إسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أبى العرب مصرية من قرية كان يقال لها (أم العرب) تقع على بعد ثلاثة كيلو مترات من الساحل الشمالى وتعرف آثارها حاليا بتل الفرما .

(١) كتاب مصر والمصريين قراءات ودراسات للأستاذ عبد الحميد الكاتب بتصرف .

(٢) صحيح الإمام مسلم .

وأما الذمة فلأن رسول الله – ﷺ – تزوج مارية المصرية وقد دعتها كتب السيرة النبوية مارية القبطية ، وكانت من قرية فى صعيد مصر بقيت منها أطلال قريبة من مركز ملوى بمحافظة المنيا ، وقد أنجب رسول الله – ﷺ – من تلك السيدة المصرية ابنه إبراهيم – الذى لم يعش طويلاً بل أدركته المنية وهو طفل صغير .